يَـا رَبِّ عُـدْتُ إِلَـى رِحَابِـكَ تَائِبًـا
مُسْتَـسْلِمًا مُسْتَمْـسِكًا بِعُرَاكَـا
مَـا لِـي وَمَـا لِلأَقْوِيَـاءِ وَأَنْـتَ يَـا
رَبِّـي عَظِـيمُ الـشَّانِ مَـا أَقْوَاكَـا
إِنِّـي أَوْيَـتُ لِكُـلِّ مَـأْوًى فِـي الحَيَـاةِ
فَمَـا رَأَيْـتُ أَعَـزَّ مِـنْ مَأْوَاكَـا

حديثنا عن ربنا ﷻ القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٨]، والقائل: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب:٢٥]، والقائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥].

فربنا القوي ﷻ هو الذي لا يعتريه ضعف أو قصور، ولا يتأثر بوهن أو فتور.

وربنا ﷻ هو الذي لا يغلبه غالب، ولا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، ولا يرد قضاءه راد، له القوة المطلقة، والإرادة الكاملة.

وهو ﷻ المتناهي في القوة.

وربنا ﷻ كمل في قوته، قادر على الأشياء كلها؛ لا يستولي عليه عجز ولا نصب في حال من الأحوال، نافذ أمره في أي وقت شاء ﷻ؛ في أرضه أو سماواته.

قوي ﷻ في بطشه وعقابه.

تفرَّد بالقوة، ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[البقرة:١٦٥].

وَهُوَ القَوِيُّ بِقُوَّةٍ فِي وُصْفِهِ وَعَلَيْكَ يَقدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ

❐ القوة منه..

فما لنا لا تنقطع قلوبنا إليه؟! وما لنا لا نعتمد في مهامنا وحاجتنا عليه؟! فما أفقرنا إلى قوته وغناه!!

لا قوة لنا إلا بقوته وتوفيقه ﷻ، ولا حول لنا على اجتناب المعاصي ودفع شرور النفس إلا به.

هذه القوة يمنحها الله ﷻ لمن يشاء؛ شأنها شأن الرزق العام.

والإنسان ضعيف.. خلق ضعيفًا، وولد ضعيفًا، ويموت ضعيفًا؛ قال الله ﷻ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء:٢٨]، وقال ﷻ ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا

وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤]؟

❐ أيام الله ..

لما نسي كثير من العباد هذه الحقيقة -أن الأصل في الإنسان أنه: ضعيف، ولا حول ولا قوة إلا بالله-؛ جرهم الشيطان إلى الاغترار بقوتهم؛ حتى نسوا قوة الله ﷻ، فأخذوا يتمادون في غيهم!..

فهذه أمة عاد؛ قال الله ﷻ فيها: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[فصلت: ١٥].

ولما قال لهم هود ﷺ: اتقوا الله واعبدوه وحده! قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت:١٥]، قهرنا العباد، ونحن نقدر أن ندفع أي عذاب بفضل قوتنا!!..

غرهم طول أجسامهم، قال ابن عباس ﷺ: "كان أطولهم: مائة ذراع، وأقصرهم: ستين ذراعًا".

ولما بلغ التحدي ذروته والعصيان قمته وانحلاله؛ أرسل الله ﷻ عليهم جندًا من جنده: ريحًا صرصرًا في أيام نحسات، قال الله ﷻ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[فصلت:١٦].

وهذه سنة من سنن الله في الأرض، وعلى مر التاريخ: أن المغتر بقوته والمتكبر نهايته كحال قوم عاد؛ تأخذه قوة الملك الجبار.

لذا؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾[الأنعام:١١]، لعلهم يعتبرون بمصارع الغابرين! فعشرات الأمم كفرت بالله ورسله، واغترت بقوتها وشؤونها وعمارتها في الأرض؛ فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت:٤٠].

أحاط المشركون بالنبي ﷺ وأصحابه ﷺ؛ قاصدين: اجتثاثهم من الأرض في غزوة الأحزاب؛ فأرسل الله ﷻ جنداً من جنوده: ريحاً، جعلتهم يفرون من حول المدينة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[الأحزاب: ٢٥].

صبي يهلك ملكاً، وماء يغرق قوماً، وبحر يدمر جيشاً، وبعوضة تذل نمروداً، وأرض تبلع قارون، وطيور تطحن أبرهة..

إنه القوي؛ يدهشك بقوته ﷻ.

إِلَى اللهِ كُلُّ الأَمْرِ فِي الخَلْقِ كُلِّهِ وَلَيْسَ إِلَى الخَلْقِ شَيْءٌ مِنَ الأَمْرِ

ألا أدلك؟!

كلما ازداد علم العبد بمعنى اسم الله: (القوي)؛ زاد توكله على الله ﷻ، واستمد قوته منه، وذلك بالتبرؤ من حوله وقوته، صح عنه ﷺ أنه قال لأحد أصحابه: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ»[أخرجه البخاري -واللفظ له-، ومسلم]، أي: لا تحول من حال إلى حال، ولا قدرة على ذلك إلا بمعونة الله ﷻ وتسديده وتأييده.

قال عبد الله ابن مسعود ﷺ: "لا حول ولا قوة إلا بالله: لا حولَ عن معصيةِ الله إلاَّ بعصمته، ولا قوَّةَ على طاعتهِ إلا بمعونتِه".

يقول ابن القيم ﷺ: "وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك ومن يخاف منه، وركوب الأهوال، ولها -أيضًا- تأثير في دفع الفقر!".

والله ﷻ يحب أن يراك متواضعًا ذاكرًا لقوته؛ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾[الكهف: ٣٩].

ومع محبة الله للمتواضعين؛ فهو يحب الأقوياء من المؤمنين، صح عنه ﷺ أنه قال: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[أخرجه مسلم].

والصفتان اجتمعتا في قوله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

[المائدة:٥٤] ولا قوة لأمة إلا بالعلم والعمل؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال: ٦٠].

كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد!

اللهم يا قوي.. يا عزيز! انصرنا على القوم الظالمين.